مطالعاتى حول المرفأة

المدينة الضـــائعة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

تهت الليلة فى مخارم الجبال مع « جوكليه » سعياً وراء المدينة الضائعة[1] . إن هذا الكاتب ليهزنى ؛ فهو وصاف للعادات مرة ، قصاص مغالٍ أخرى ، متفلسف هزاء على نحو فولتير تارة ، مؤرخ يمزج التاريخ بالأدب أحياناً . . . وها أنذا أغامر معه الليلة فى روايته الأخيرة ؛ فأرشف العذوبة ، وأهيم مع الخيال ، وأسمع نداء الحكمة والحياة

لا بأس على القراء أن يتيهوا معى ، فالرواية طريفة والقصاص بارع . ها هو ذا « جوكليه » فى جزيرة « لوسون » من الفيليبين يلتقى بفتى يتدفق حماسة وقوة ، يريد أن يفتش عن كنز عظيم تركه ملاح صينى كبير ، فى مدينة ضاعت بين الجبال ، فى شرق الجزيرة منذ أربعة قرون . وكان نداء المجهول ، وحلاوة المغامرة ، يدفعان الفتى إلى البحث عن الكنز ، فأثر فى رفيقه القصاص وساقه معه

وكان يصحبهما رفيق ثالث شاذ الطبائع ، غامض العواطف ، اسمه « دون انطونيو » عرفوه فى الفندق . وكان هذا يود الهرب من المدينة الزائفة لأسباب غامضات

وهام الثلاثة فى طريقهم ، وقد صحبوا دليلين قويين ، وبضعة بغال . . . ثم تغلغلوا فى قلب غابات المتوحشين . وكان يصادفهم أخطار ترعب ، ومصاعب لا تحد : لذع من الشمس ، وخبل من الهواء ، وغرق فى الماء ، ونهس من الذباب ، وتيهان فى المستنقعات ؛ فضلاً عن شهق الجبال وعمق الأودية ، واشتباك الغابات ، ووفرة الشباك المنصوبة على حفاف الطرقات

وفاجأتهم قبائل النكريتو بسهامها فى إحدى الغابات ، ففروا بعد جهد وعذاب . ومضت القافلة الصغيرة تماشى الهضاب ، وتصعد فى الجبال ، وتفتش عن « المدينة الضائعة » فى كل مكان . فاستيقظوا ذات يوم ، بعد أن قذفهم واد عظيم ، وإذا بهم يرون من شواهق الذرى ، فى حضن جبل ، على حافة بحيرة راكدة : مزارع أرز واسعة ، وآثار بناء شامخ ، تقوم عند أقدامه مساكن صينية حقيرة . فخفوا نحوها ، فاستقبلوهم بصمت وحذر وجفاء ، وأدخلوهم باباً فى ذلك البناء ... فعلموا أنهم أضحوا سجناء فى مدينة واسعة ، قامت فى قلب الجبل ، لا يدرون من أمرها شيئاً ...

وساقوهم إلى شيخ صينى نبيل ، فأعلمهم بعد جهد ، أنهم فى المدينة التى شادها « لياجونك » الملاح الصينى العظيم

« لقد قضى الوقت الطويل فى البحث عن أعوانه . كان يريد أعواناً لا تبش وجوههم لبريق المال الذى يحيط بهم ، ومكاناً لا تصل إليه الأقدام ، فاختار هذا الجبل مقاماً له عندما يقفل من قرصنته فى البحار . وعاش مع أصحابه حياة هادئة غامضة لا يستطيع مؤرخ أن يكتب شيئاً عنها ؛ ثم أخضع القبائل التى كانت تعيش فى الغابات المجاورة والجبال ، وجعلهم عبيداً له طول الحياة ... !

« ولم يفكر قط واحد منهم ، ولا واحد منا ، أن يعود إلى البلاد المتمدنة التى يضطرب فيها كل شىء ... فإذا ومضت هذه [illegible] علمنا أنه مريض . . .

« ولقد وضعنا فى طريق ذلك العالم المتمدن عقبات كثارا لتعجز كل قوة أنسية عن اجتيازها ... نعم ، أيها السادة ، تلك قصة الملاح العظيم ، وإنى لآسف أن أراكم بيننا ، وإن سعادة هذا الشعب الهادئ الذى يعيش هنا توجب على سجنكم عندى لئلا تغروهم بالعودة إلى دنيا المصائب والبلايا ... ! »

وسجن الأصحاب الثلاثة ، ولكنهم تحسسوا الأخبار ، وعلموا أن ذلك الملاح الشقى ، أودع كنوزه إحدى جزر المحيط قبل أن يموت ... ففروا من سجنهم بعد أن رأوا الموت مرات ، وفقدوا أحد الأدلاء . على أن الفتى « ميجيل » ما كان فى هذه المرة يبتغى نوال المال ، فلقد أراد أن يسعى وراء حياة هادئة ، ليس فيها

(١) René Jouglet : La Ville Perdue (B. Grasset, édit)

شيء من « البوكر » ولا « السيست » وغيرها ...

هاهم أولاء يتيهون فى البحار ، يتنقلون من جزيرة إلى جزيرة دون أن يعثروا على التى سمعوا وصفها ، فقرروا أن يعودوا من حيث أتوا ... ولكن عاصفة مجنونة حملتهم إلى جزيرة بعيدة : كلها أعشاب خضر ، وبرارٍ محروثات ... وإذا هم بين أناس من الصين علموا أنهم أحفاد الملاح الكبير ... وأدركوا أن تلك الأراضى كنوز الملاح ... فعاشوا بسذاجة وانطلاق ...

وخطر على بال القصاص أن يعود مع الفتى ، فعادا . . .

أما « دون أنطونيو » ، فقد آثر البقاء هناك ، وقال :

« لن أستطيع العيش فى المدن . إن فيها جدرانا كثيرة تخنق المرء ... كل يوم فيها اصطدام واضطراب وظلم ... إن فيها قيوداً كثيرة . إنها سجون مظلمة ... وسيبحث عنى أولئك الذين عرفتهم فلا يجدونني ، وسيحسبون أنى مجرم آوتنى السجون . . . ليقولوا ما شاءوا ... فأنا أعيش مع المتوحشين ، ولكنى حر طليق ... لا يقيدنى قيد ، ولا يخيفنى مخلوق ... نعم ، وسيعلمون بعد حين أن عدد الهاربين من المدن ومن المدنية ومن الترف إلى الطبيعة سيزداد وينمو ... ! »

وعاد الصديقان وحدهما ، وقد علما أنه لا بد لهما من العودة يوماً ليستجيبا لنداء المجهول ، وليعيشا فى الأرض التى لا تعرف الشقاء ، أرض الأعشاب والمرجان ... » ا . هـ

* * *

أين أنت أيتها الأرض البعيدة التى ستضمينني ؟

أيها المجهول الذى يناديني ، ادفعنى إلى تلك الأرض الهادئة لأستريح من لؤم الإنسان ... !

ادفعنى ... لأحيا ... !

(دمشق) صموع الدين المجد

(١) لعل القارئ يلاحظ الشبه الشديد بين هذه الرواية ، وبين « نداء المجهول » لأمير القصة الأستاذ تيمور

الرسالة فى ستتها العاشرة

على الرغم من استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها إلى عشرة أضعاف ، ستستمر الرسالة على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والاهداء، مع المشتركين القدماء. أما المشتركون الجدد فيؤدون الاشتراك كاملا مقسطا أو غير مقسط . ومن المقرر أن المشتركين القدماء لن يتمتعوا بمزايا الاشتراك المخفض إلا إذا بدأوا اشتراكهم من ديسمبر إلى آخر يناير ١٩٤٢

ولن يمد الأجل بعد ذلك